(إعداد وترجمة وئام بلعوم)

من النصوص المؤسسة للعنصريّة الصهيونيّة أرثور روبين وسوسيولوجيا اليهود

نترجم في هذا العدد من زاوية الأرشيف مقتطفات من كتاب «سوسيولوجيا اليهود» لأرثور روبين، القيادي وعالم الاجتماع الصهيوني، الذي ولد عام ١٨٧٦ في ألمانيا وتوفي عام ١٩٤٣ في فلسطين. يعتبر روبين أحد أهم قيادات الحركة الصهيونية في أوائل القرن العشرين، ويسمّيه كثيرون «أبو الاستيطان الصهيوني» في فلسطين. في هذا العدد نسلّط الضوء على كتابه «سوسيولوجيا اليهود» الذي نرى فيه نصّاً مؤسساً للعنصرية الصهيونية والنظرة العرقية الفوقية اتجاه العرب ويهود المشرق والسود وشعوب عديدة.

يدّعي روبين في كتاباته أن تحقيق أهداف الصهيونية يحتاج لنقاء عرقي عند اليهود، ومن اللافت أنّ كتاباته مستوحاة من كتابات مفكرين فاشيين ونازيين. مالَ علماء التأريخ في إسرائيل في أعقاب الهولوكست للتقليل من حجم روبين، وحتى إلى إخفائه تماماً عن الأعين، إلّا أنّ دراسة دكتوراه كشفت قبل عدة سنوات عن أدوار روبين المخفية، منها تأثير كتاباته على اعتبار اليهود عرقاً في ألمانيا النازية، كما كشفت عن دور أبحاثه في العنصرية تجاه يهود المشرق، وتعامله مع بعضهم أنهم غير يهود بسبب اختلاطهم مع شعوب أخرى وبعدهم عن يهود أوروبا.

يشير ايتان بلوم، كاتب رسالة الدكتوراه عن روبين، أن العنصرية لا تنم عن «عدم فهم حضاري» للشرقيين، بل إنها تنم عن نظريات عنصرية لها علاقة بالأعراق، متأثرة بالفكر النازي الاوروبي.

في كتاب «سوسيولوجيا اليهود» الذي صدر عام ١٩٤٣، بالإضافة لاستعمال نظريات عرقية-عنصرية لتفسير ظواهر اجتماعية، يقوم روبين بالتقاط صور ليهود مختلفين ويقوم بتصنيفهم بحسب أحجام جماجمهم، بصمات أيديهم، ومساواة أشكال وأحجام أنوفهم (لاحظ ملحق الصور لاحقاً)،

يقوم روبين بتقسيم اليهود لعدة أنماط، منها «أنماط أصلية» و«أنماط مميزة» و«أنماط أجنبية (أو غريبة)».

ومما جاء في الكتاب:

«ب. أنماط مميّزة

بالإضافة للأنماط الأصليّة التي تشكّلت في ثلاثة مراكز يهودية كبيرة (البابلي، السفاردي، الاشكنازي. و.ب.) هناك أنماط مميّزة من مجموعات اليهود ممن لم يمروا في طريق التطوّر التي مرّت بها المراكز اليهودية الثلاثة. نسبتهم لا تصل ١٪ من مجمل اليهود. أصلهم هو من يهود أرض إسرائيل، لكن فترة تطورهم المتأخرة مرت عليهم في مساحات جغرافية خارج مسارات هجرة اليهود الكبرى. هم لم يأتوا إلى أوروبا، وبسبب تشتتهم (عن المركز اليهودي في أوروبا. و.ب) انقطع اتصالهم مع جموع اليهود. انعزلوا، استقطبوا إلى داخلهم، على نحو كبير، دمًا غريبًا وأدوا إلى تشكّل أنماط مميزة.»[١]

يضيف روبين:

«يهود اليمن يختلفون عن إخوانهم الأشكناز والسفارديم بلون جلدهم الأكثر غمقاً، بجماجمهم الطويلة، بصدرهم الضيق، بأنفهم المستقيم، بشعرهم الأشد سواداً، وبأعينهم الكبيرة اللامعة. وبسبب تواصل ثقافي ما مع يهود مصر ويهود أرض إسرائيل حافظوا على معرفة اللغة والأدب العبريين، وهم أيضاً على درجة كبيرة من الذكاء.»[٢]

وأما عن اليهود الأفارقة أصحاب البشرة السوداء كتب روبين:

«كنا قد ذكرنا في السابق، أنه مثلما اعتنق العبيد اليهودية في القرون الوسطى فإنه في أيامنا هناك إشارات لاختلاط دم زنجي في جسم اليهودية، وهو ما يمكن استدلاله من أولئك (اليهود. و.ب.) أصحاب الشفاه العريضة والشعر المسماري لبعضهم. أعداد هؤلاء، القليلة أصلاً، آخذة بالنقصان من جيل إلى جيل، وذلك لأن مجموع اليهود توقّف عن استيعاب دم زنجي.

ليس هكذا هو الأمر بالنسبة لاختلاط دم مغولي وشمال أوروبي. ليس فقط الخزر (من الشعوب التركية القديمة. و.ب) الذين كانوا من المغول بحسب عرقهم اختلطوا باليهود، بل الشعوب السلافية اختلطت أيضاً ، حيث استوطن اليهود في بلادهم قبل ألف سنة تقريباً، وهم بحسب أصلهم العرقي يتركبون من ٣ أصول: أصحاب الشعر الأسود والرأس القصير، الأوروبيون الشماليين، صفر اللون وطوال الرأس، والمغول. كان من المستحيل، في أثناء فترة أجيال متعاقبة من عيش اليهود بين هذه الشعوب، أن لا يتسرّب القليل من دمها إلى الجسد اليهودية. لكن طالما بقيت درجة استقبال هذا الدم منخفضة ونادرة، فسوف يتم محو أثرها خلال عدة أجيال، حتى يبطل بالكامل. يظهر فقط في حالات نادرة على بعض الأفراد آثار العرق الأجنبي، وهذه الحالات نسميها «أنماط أجنبية».[٣]

كما يقوم روبين بشرح أسباب «التفوق العرقي» لليهود الأشكناز على باقي اليهود على هذا الشكل:

«لأن اليهود الأشكناز يشكلون اليوم حوالي ٩٢٪ من كل يهود العالم، فهم بالطبع مؤثرون بشكل حاسم على الصورة الشاملة للكينونة الروحية اليهودية. عندما ننظر إلى باقي مجموعات اليهود، نعرف بشكل فوري كم هم مختلفون عن الأشكناز بصفاتهم النفسية. يعود ذلك للتركيبة العرقية للأشكناز والسفارديم ويهود الشرق، بالإضافة للأحداث التاريخية المختلفة التي مرّت بها كل مجموعة ومجموعة. عاش اليهود السفارديم في أوروبا ظروفًا اجتماعيةً وسياسيةً أفضل من اليهود الاشكناز في شرق أوروبا، كما أن عملية التكيّف والاختيار لديهم لم تكن صعبة. لذلك، ولأن اليهود السفارديم لم يكونوا متحمسين لتزويج بناتهم لطلاب التوارة (بالعبرية تلميدي حاخاميم) مثل إخوتهم الأشكناز، نتج أن اليهود الأشكناز في زمننا يفوقون الشرقيين في رشاقتهم وفي نزعتهم نحو العلوم... نيمتسك، الذي فحص عام ١٩١٥ طلاب أكاديمية التجارة الجديدة في فينا يشير إلى الدرجة الخاصة من الحيوية والرشاقة في عمليات إعمال الخيال عند الطلاب أبناء اليهود الأشكناز، في حين ظهر لدى الطلاب أبناء الشرقيين «طبع مضبوط جداً، متأثر من الاسترخاء الشرقي».

يستحيل بسبب عدم وجود أرقام دقيقة في هذا المجال التوصّل إلى استنتاجات كبيرة. لكنني أسمح لنفسي بالقول، بحسب تجربتي، إن القدرة على إجراء عمليات حسابية و مهارة التبسيط أكبر لدى النمط اليهودي من غربي آسيا، وأن عملية التفكير عندهم أسرع من أنماط يهود آخرين. يتميز اليهود من النمط الشرقي (البدوي) بدرجة كبيرة من تقبّل الواقع والنظر إلى الأمور بطريقة صارمة، وبينما يتميّز أبناء النمط الغربي (الأوروبي- الجنوبي) بمؤهلات فنّية، ولا سيّما موسيقية، وبمؤهلات في الرياضيات (فهم وإدراك الموقع) وبموهبة في لعبة الشطرنج».[٤]

١ ارثور روبين، سوسيولوجيا اليهود، (برلين-تل ابيب: أ. ي. شطيبل، ١٩٤٣)، ص ١٦.

٢ المصدر نفسه، ص ١٧.

٣ المصدر نفسه، ص ١٨.

٤ نفس المصدر، ص ٤١.

مجموعة صور ليهود مختلفين التقطها أرثور روبين